١٠ ــ استجواب

ذاق مجلس النواب لذة الاستجواب ، ووجد عذوبة الكر والفر ، وحلاوة الجدال والنضال ، فلم يفرغ من الاستجواب حول جبل الأولياء حتى اندفع إلى الاستجواب حول تخفيض الضرائب ، وإذا صدق الظن فلن تنتهى هذه الدورة حتى يشبع النواب استجوابا ، ويشبع الوزراء ثقة ، ولم لا ؟ فى الاستجواب نشاط وقد طال الفتور ، وفى الاستجواب عمل وقد طال الكسل ، وفى الاستجواب كلام وقد طال الصمت ، فلم لا يرغب النواب فى الاستجواب لينشطوا ، ويعملوا ويتكلموا ، ويعلم الناس أن نوابهم ناهضون بالنيابة عنهم على خير ما ينهض النواب بواجباتهم البرلمانية ، وليعلم الناس فى مصر وإنجلترا أن زعيم المعارضة الرسمية فى البرلمان لم يكن موفقا حين زعم أن المجلس هو المسئول أمام الوزارة بدل أن تكون الوزارة هى المسئولة أمام المجلس ، ومن يدرى ؟ إن الأحلام مطلقة الحرية ، لا تعرف حدا تقف عنده ، ولا أمدا تنتهى إليه . فلعل حلما من هذه الأحلام الهائمة التى تزور الناس عند مطلع الفجر ، وقبل أن تكتسى الأرض بأضواء الشمس المشرقة قد يقف عند المستجوبين وهم نيام كأيقاظ ، أو أيقاظ كنيام ، فخيل إليهم أن استجوابا جديدا قد يمكنهم من إحراج الوزارة ، واضطرارها إلى الاستقالة فتحدث معجزة المعجزات ، وأعجوبة الأعاجيب ، ويقترع المجلس برفض الثقة ، ويرفع رئيس الوزارة استقالة وزارته . ويقول الناس إن هذا المجلس الذى كان يتهمه بعض أعضائه بأنه ظل للوزارة قد رفض الثقة بالوزارة واضطرها إلى السقوط .

ويجد الإنجليز حلا للمشكلة التى يتورطون فيها الآن ، مشكلة السخط على الموقف السياسى الحاضر ، والحرص على التزام الحياد الدقيق ، فتسقط الوزارة ويخلص منها الذين يضيقون بها من أصدقائها أمس . ولم يظهر منهم تدخل فى شئون مصر ، ولا خروج على الحياد . ويجد رئيس الوزراء مخرجا من هذا المأزق

---

(١) ١٠ ــ ٥ ــ ١٩٣٣ .

الذى اضطرت إليه الظروف فيستقيل ، لا لأن الإنجليز أرادوه على الاستقالة ، أو لمَّحوا له بالاستقالة من بعيد ، بل لأن مجلس النواب قد ضن عليه بالثقة . وقد قال رئيس الوزراء ألف مرة إن بقاء الوزارة رهين برضا جلالة الملك وثقة البرلمان ، فإذا فقد ثقة البرلمان استقال . والإنجليز محايدون وإن كرهت المعارضة التى لا تؤمن بهذا الحياد . ومن يدرى لعل هذا الحلم قد خيل لأصحاب الاستجواب أن استجوابهم إن أدى إلى سقوط الوزارةفقد يقضى على هذا التضامن بين المجلس والوزارة ، وقد يقطع هذه الأسباب الثقيلة التى تصل بينهما وتضطرهما إلى أن يحتملا معا ما يتعرضان له من خير أو شر ، وإذا زال هذا التضامن وانقطعت هذه الأسباب فقد تذهب الوزارة وتتصل أسباب الحياة للبرلمان .

ثم انجلى الحلم ، واستيقظ النائم ، فما أسرع ما ظهرت مسألة الضرائب، وما أسرع ما صدر الاستجواب للمستجوبين !

والصحف تقول إن مساعى تبذل لحمل المستجوبين على أن يستردوا استجوابهم ، وصحيفة الوزارة تجتهد اليوم فى إقناع هؤلاء المستجوبين بالعدول عن تحقيق هذا الحلم ، لأن الحكومة مضطرة إلى ألا تمس الضرائب الآن ، وإن كانت قد وعدت من قبل بأنها ستعدلها وتنالها بالتخفيض ، ذلك أنَّ النواب المستجوبين حديثو عهد بالسياسة الوزارية فيما يظهر ، أو هم يتكلفون حداثة العهد ، فقد وعدت الوزارة بتخفيض الضرائب حين كان هذا الوعد نافعا فى كسب الأنصار ، وخداع الناس بالأمانى والآمال . فأما الآن فليس إلى هذا التخفيض من سبيل ، لأن هذا التخفيض يغضب الأجانب ويسىء ظنهم بحسن قصد الحكومة ويمس حالتنا المالية . وحسبك من شر سماعه . وأين تجد الوزارة الشجاعة على إغضاب الأجانب ؟ وماذا تصنع الوزارة فى مسألة الدَّين إذا لم تقض لنا المحاكم المختلطة بالأداء ورقا ، ولم تنجح المفاوضات التى لم توفق الوزارة إلى بدئها بعد ؟ ومن أين تدبر الأموال لجبل الأولياء ؟ ومن أين تدبر الأموال لما تستتبعه تعلية خزان أسوان من الأعمال التى ذكرها وكيل المالية فى تقريره الذى نشرنا بعضه أمس ؟ ومن أين تنفق الحكومة على المؤتمرات حين تعقد فى

مصر ، وعلى الذين يمثلونها فى المؤتمرات حين تعقد فى غير مصر ؟ ومن أين تدبر الأموال لكل هذه الأعمال ؟ ثم من أين تقتصد الوزارة ثلاثة ملايين ونصف مليون من الجنيهات لتتمتع بهذا الاقتصاد ، ثم لتعتذر عن شراء سيارة لرئيس الوزراء قيمتها ألف أو أكثر من ألف ، وهو الذى اقتصد الملايين ؟

كل هذه أشياء يجب أن يتدبرها المستجوبون فى رأى صحيفة الوزارة قبل أن يقدموا استجوابهم أو يصروا عليه ، وإذن فالمستجوبون يريدون تحقيق الحلم ، والوزراء يخافون من هذا الحلم ، والأيام وحدها هى التى ستثبت ما قلناه وما نقول دائما من أن الأمر تمثيل فى تمثيل ، ومن أن النواب لم يشبعوا استجوابا ، والوزراء لم يشبعوا ثقة ، ومن أن الحياة ثقيلة مضنية ، والهموم كثيرة معنية ، ولا بد من شىء من التسلية ، وأى تسلية للنواب خير من الاستجواب ؟ وأى تسلية للوزارة خير من الثقة ؟!

أما أنت أيها الشعب البائس المحزون فاحذر أن يخدعك وعد ، واحذر أن يفتح لك الاستجواب بابا من أبواب الأمل ، وكن كما كنت بائسا محزونا ، ومثقلا مكبودا ، واحتمل كما تحتمل اليوم أداء هذه الضرائب من قوتك الذى لا تجده ، ومن دمك الذى كاد يجف فى عروقك ، ومن طعام أبنائك وتعليمهم ، واعدد نفسك إن أعياك الأداء لوقع السياط ولزوم السجون ، وتذوق ألوان العذاب .

فلا بد لك من هذا حتى يأذن الله لك بفرج قريب ، ولكن لا تنتظر الفرج من هذا الاستجواب ، فسيتم الصلح بين الوزارة والمستجوبين على كل حال .

إمـــا غدا زعمـــوا أو لا فبعـــــد غد